تطور النثر العربي الحديث عوامله ومظاهره :

أخذت بوادر الضعف والعقم تظهر في الأدب العربي ، شعره ونثره ، منذ احتلال بغداد على أيدي المغول في عام 656هـ ، واستفحل ذلك وأصبح معلما بارزا من معالم أدبنا في العهد العثماني حيث أهملت اللغة العربية وصارت اللغة التركية لغة الدولة الرسمية .

عاش الوطن العربي خلال عدة قرون انكسارا حضاريا ، أصبح فيها كل شيء باعثا على التخلف والضعف ، فالنظام السياسي انعزل عن الشعب وصار قائما على العنف والجور، فانتشر البؤس والفقر ، وأصبح المجتمع يتكون من طبقتين رئيستين هما طبقة الأغنياء من الولاة والأمراء وحاشيتهم ، وطبقة الفقراء التي تشمل أغلبية الشعب . كذلك هدمت المدارس وتفشى الجهل والأمية بين الناس واقتصر التعليم على الكتاتيب وبعض المعاهد الدينية .

كان طبيعيا أن تؤثر هذه الأجواء الشاذة في الأدب سلبا ، فقد ضعف الأدب شعرا ونثرا وساده الانحطاط إذ صار ألاعيب لفظية وأداة من أدوات التسلية ، فلم يبق فيه مظهر من مظاهر العاطفة أو الفكر فظهرت فيه الركاكة والعجمة والعامية .

فالنثر في هذا العصر فقد روحه وصار بعيدا عن الفكر والشعور ، فلم يجد أمامه إلا أن يلجأ إلى الزخارف اللفظية والألاعيب البديعية حتى يعّوض عن هذا النقص ، فكان أن طغى السجع على أسلوب النثر ، وشاركه في ذلك البديع ، الأمر الذي جعل أسلوب النثر أسلوبا مزخرفا ومتكلفا ومفتقرا إلى كل ما يمت بصلة إلى الأدب الحي . ولم يسر هذا الضعف في أسلوب النثر حسب ، بل تعداه إلى مضمونه ، إذ ضاقت موضوعاته وغدت موضوعات ساذجة ، ودارت على بعض الإخوانيات والخطب والمناظرات . ظلت هذه الخصائص والسمات في النثر العربي حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث أخذت تظهر عوامل ومستجدات في المجتمع العربي تعمل على تغير النثر ونهضته حتى يتلاءم وروح العصر .

وفيما يأتي اهم هذه العوامل التي عملت على نهضة النثر العربي الحديث .

١- يقظة الأمة العربية :

على اثر ضعف الدولة العربية الإسلامية وتفككها استغرق المجتمع العربي في سبات طويل ، وعدّ العرب أنفسهم جزء من الإمبراطورية العثمانية التي ضمت اغلب الأقطار العربية .

كان من أسباب هذا السبات ضياع السيطرة العسكرية والتجارية ، وعزلة العرب عن العالم ، لكن مع حلول العصر الحديث ، وبالذات عند مطلع القرن التاسع عشر ، أخذت الأمة العربية تعي ذاتها وتستيقظ من سباتها ، من هنا بدأوا يطالبون بحقوقهم وتحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية والثقافية .

بدأ هذا أولا بالنضال من أجل إدخال إصلاحات مختلفة على المجتمع العربي ضمن الإمبراطورية ، ثم تطور ذلك فظهرت حركات وتنظيمات تدعو إلى الانفصال عن الدولة العثمانية ومنح العرب

الاخوان بشارة وسليم تقلا في عام 1875 ، و (المقتطف) و (المحروسة) و (المقطم) ومجلة (الهلال) لجرجي زيدان .

ومع مطلع القرن العشرين ، أخذت تظهر صحف الأحزاب السياسية ومنها (اللواء) لمصطفى كامل ، لسان حال الحزب الوطني ، بعد ذلك صدرت عشرات الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية .

وفي لبنان صدرت صحف دينية ، أنشأتها البعثات التبشيرية منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ثم صدرت جريدة (حديقة الأخبار) في بيروت عام 1858 لصاحبها خليل ألخوري .

وفي سوريا اصدر بعض السوريين صحفا في الأستانة مثل (مرآة الأحوال) ، التي أصدرها رزق الله حسون الحلبي في 1855 .

أما في العراق فكان أول صحيفة تصدر (الزوراء) التي أنشأها الوالي مدحت باشا في بغداد عام 1868 ، لكن الأمر اختلف بعد إعلان الدستور العثماني في عام 1908 ، إذ كثر عدد الصحف والمجلات في بغداد وأهمها (صدى بابل) و (الرقيب) .

لقد ساهمت الصحف والمجلات مساهمة عظيمة في نهضة النثر العربي الحديث بجعله ينتشر بين سائر طبقات الشعب ، وتسهل لغته ، وتنوع موضوعاته وفنونه .

إنَّ الصحافة أمدت الأدب بالحيوية وصقلته وأبعدت عنه الزخرف والجناس والحشو ، وجعلته سهلا واضحا . ففي مصر مالت الصحف بسبب مخاطبتها كل الطبقات في الأمة ، وحتى تنتشر في أوسع جمهور ممكن ، مالت إلى التبسيط في الأسلوب والتفكير .

وفي سوريا ساعدت الصحافة على تسهيل الكتابة العربية وإيجاد الأسلوب البسيط الذي يتناسب مع الحياة الجديدة النامية حيث مات السجع مع موت التكلف الاجتماعي ، وتكسرت القوالب اللفظية مع تكسر الجمود والتقليد في الحياة واقتربت لغة الكتابة من لغة الحديث. وفي العراق كان دور الصحف أيضا كبيرا في نهضة الأدب الحديث وتطويره فقد سارت بالأساليب الأدبية النثرية على جادة التطور وفتحت صدرها للفنون الأدبية الجديدة كالمقالة والقصة والمسرحية .

مظاهر تطور النثر العربي الحديث :

أنُّ عوامل نهضة الثر العربي الحديث مجتمعة ساهمت في إحداث تغيرات بارزة وآثار عظيمة ، جعلت النثر ينهض ويتجاوز الضعف والركود اللذين خيما عليه فترة طويلة من الزمن ، مما أسفر عن نهضة شاملة أصابت النثر العربي الحديث .

إنّ هذا التطور لم يحدث في النثر سريعا ، بل جرى بصورة تدريجية وبمرور الزمن وبقوة هذه العوامل ، حتى باتت خصائص ومظاهر جديدة لم تكن موجودة من قبل ، تبرز فيه بوضوح . فقد تمثلت هذه الخصائص والمظاهر في لغة النثر وفي موضوعاته وفنونه .

1- اللغة :